الأفعال والأزمنة

1. يشير امتلاك الأفعال لخاصية الزمن [التركيبي] إلى أن استعمالها يقتضي مراعاة الاعتبارات التي تخص تصور الزمن. ولا تقتصر هذه الاعتبارات على الفرق المعروف بين الماضي والحاضر والمستقبل، بل إن هناك فرقا آخر يرتبط بدقة بهذا التصور: قد يَفرض علينا استعمال فعل ما الطريقةَ التي يتطلب بها هذا الفعلُ مفهومَ الزمن.

أثيرَ الانتباهُ في عدد من المنشورات الحديثة إلى هذه الجهات الدقيقة بصورة نسقية، ربما لأول مرة. فقد عُقدت تمايزات بين الأفعال، فتم التفريق بين أنواع من قبيل السيرورات، والحالات، والترتيبات، والوروداتِ، والمهام، والإتمامات، وغيرها.

والواضح أن هذه الفروق والتمايزات لا يمكن رصدها أو تفسيرها اعتمادا على الزمن وحده: تدخل في هذا الأمر عوامل أخرى، مثل حضور أو غياب شيء ما، والظروف العامة المرافقة، والوضع المقصود. ورغم ذلك، فإننا نحس أن عنصر الزمن يبقى حاسما؛ فعلى الأقل يتمتع بأهمية تبرر معالجة منفصلة. والحق أنه — كما أريد أن أبين — إذا ركّزنا الاهتمام بالأساس على خطاطات الزمن التي تستلزمها مختلف الأفعال،[1] سيكون باستطاعتنا تسليط الضوء على بعض المسائل التي ما زالت غامضة في هذا المجال. وستتضح هذه الخطاطات الزمنية بوصفها مكونات هامة في التصورات التي تدفعنا إلى استعمال هذه الألفاظ بالطريقة الصحيحة التي نستعملها بها.

ولا نجد غير القليل من الخطاطات في هذا المجال تُطبَق على نطاق واسع. فبعد أن تُكتشَف في بعض الأمثلة النمطية، تُستعمل بوصفها نماذج للمقارنة في استكشاف وتوضيح سلوك أي فعل.

لا أدعي، عبر إشارتي إلى هذه الخطاطات، أنها تمثل كل الطرق الممكنة التي يمكن للأفعال أن تُستعمل فيها بصورة صحيحة بالنظر إلى التحديد الزمني، ولا أن أقول إن فعلا له استعمال تصفه بوضوح خطاطة معينة، لا يمكن أن تكون له استعمالات أخرى مختلفة يمكن وصفها بدورها اعتمادا على خطاطة أخرى. وفي الواقع، فهذه الأفعال تحديدا، التي تستدعي خطاطتين زمنيتين أو أكثر، هي التي تزودنا بالأمثلة والمعطيات الأهم في فهم الاختلاف التصوري في هذا الإطار—والالتباس الذي لا يُرصَد يؤدي إلى الغموض والارتباك. وعليه، لا أنوي إعطاء قواعد حول كيفية استعمال بعض الألفاظ، وإنما اقتراح طريقة لوصف استعمال هذه الألفاظ. وسأقدم بعض «نقط المقارنة التي نقصد

1. أدرك أنه علي أن أشرح ما أعنيه بالضبط بالخطاطة الزمنية في هذا السياق. سأقوم بهذا الأمر في الوقت المناسب.

بها تسليط الضوء على وقائع لغتنا، ليس عن طريق النظر في التشابهات فحسب، بل عن طريق النظر في التباينات أيضا، دون اعتبارها أفكارا مسبقة على الواقع أن يوافقها».[2]

2. مهمتنا الأولى، إذن، موقعةٌ ووصف تلك الخطاطة الزمنية المعروفة التي تدخل في استعمال الأفعال الإنجليزية. ولهذا الغرض، أحتاج إلى بعض الأمثلة الواضحة التي تؤكد، في استعمالها الشائع على الأقل، هذه الخطاطات في صورة خالصة. وسأحاول، في هذه المرحلة، أن أتجنب الألفاظ الملتبسة وأتجاهل الاستعمالات المطاطية وغير الثابتة أو الواقعة على التخوم.

أبدأ بالفرق المعروف بين الأفعال التي تعبر عن أزمنة مستمرة والأفعال التي ليست كذلك. فالسؤال التالي: «ماذا تفعل؟» قد يجاب عنه كالتالي: [3]

I am running (or writing, working,.....) (1)

«أجري (أو أكتب أو أعمل...)»

ولا يمكن أن يجاب عنه بواسطة تعابير من قبيل:

I am knowing (or loving, recognising,.....) (2)

«أعرف (أو أحب أو أتعرف...)»

من جهة أخرى، ليس للزوج المتلائم المكون من السؤال والجواب التاليين:

Do you know? (3)

«هل تعرف؟»

Yes, I do

«نعم، أعرف»

مقابلٌ من قبيل: [4]

Do you run? (4)

«هل تجري»

Yes, I do

«نعم، أجري»

يدعونا هذا الفرق إلى اعتبار الجري والكتابة، وما شابههما، سيرورات تقع وتتقدم عبر الزمن: أي أنها، تقريبا، تتكون من أطوار تتلو بعضها في الزمن. ففي الحقيقة، إن من يكون يجري يرفع ساقه اليمنى للحظة، ثم يضعها، وبعد ذلك يرفع ساقه الأخرى، ثم يضعها، وهكذا. غير أنه، وإن كان صحيحا أن المرء يعرف شيئا في زمن معين أو لطور معين من الزمن، فإن المعرفة وما ماثلها ليست سيرورات تجري في الزمن. قد يكون صادقا أنني أعرف الجغرافيا الآن، ولكن هذا لا يعني أن سيرورة معرفة الجغرافيا تجري وتحدث في الحاضر، وهي مكونة من أطوار يتلو بعضها الآخر في الزمن.

دعونا نركز الانتباه، أولا، على طائفة الأفعال التي تقبل أزمنة مستمرة. هناك انقسام ملحوظ داخل هذه الطائفة ذاتها. فإذا كان صادقا أن أحدا يجري أو يدفع عربة الآن، فإنه، وإن كف عن ذلك

2. انظر: L. Wittgeinstein, *Philosophical Investigations*, I, 130-131

3. إن حضور أو غياب شيء ما أمر غير وارد هنا. وتعد جملة «I am pushing a cart» (أنا أدفع عربة) جملة جيدة، في حين أن «I am loving you» (أنا أحبك) تبقى غير ذات معنى.

4. إلا إذا قصدنا معنى مختلفا جدا لحدث الجري. وهو معنى سأتعرض إليه لاحقا.

في اللحظة الموالية، سيكون صادقا أنه جرى أو دفع عربة. ومن جهة أخرى، إنه، وإن كان صادقا أن أحدا يرسم دائرة أو يجري ميلا الآن، فإنه، إن كف عن ذلك في اللحظة الموالية، فإنه قد لا يكون صادقا أنه رسم دائرة أو جرى ميلا.[5] وبعبارة أخرى، إذا توقف أحد عن جري الميل، فإنه لن يكون قد جرى ميلا؛ وإذا توقف عن رسم دائرة، فإنه لن يكون قد رسم دائرة. ولكن من يتوقف عن الجري يكون قد جرى، ومن يتوقف عن دفع عربة يكون قد دفعها. على جري الميل ورسم الدائرة أن ينتهيا أو يكتملا، في حين أنه لا معنى للحديث عن إكمال الجري ودفع العربة أو إنهائهما. هكذا نرى أنه، إذا لم يكن للجري أو دفع العربة نقطة نهاية، فإن جري ميل أو رسم دائرة لهما «ذروة» يجب بلوغها، إذا أردنا أن نعبر فعلا عما نزعمه.

ارتباطا بهذا الأمر، يعد الاستفهام التالي ذا معنى:

For how long did he push the cart? (5)

«ما المدة التي دفع فيها العربة ؟»

في حين يبدو هذا الاستفهام شاذا:

How long did it take to push the cart? (6)

«كم استغرق دفع العربة من الوقت؟»

ومن جانب آخر، يعد الاستفهام التالي استفهاما جيدا:

How long did it take to draw the circle? (7)

«كم استغرق رسم الدائرة من الوقت؟»

أما هذا الاستفهام فيبدو غريبا:

For how long did he draw the circle? (8)

«ما المدة التي رسم فيها الدائرة؟»

وبطبيعة الحال، فالأجوبة الموافقة ستكون هي:

He was pushing it for half an hour (9)

«دفعها لمدة نصف ساعة»

It took twenty seconds to draw the circle (10)

«استغرق رسم الدائرة عشرين ثانية»

(He did it in twenty seconds (11

«أنجز ذلك في عشرين ثانية»

ولا يصح العكس. إن دفع العربة قد يحدث لوقت معين، ولكنه لا يستغرق زمنا محددا لكي يتم؛ ونشاط الرسم قد يشغل مدة زمنية، ولكن رسم دائرة يستغرق زمنا معينا.

نستخلص من هذا نتيجة على قدر كبير من الأهمية. إذا كان صادقا أن أحدا كان قد جرى لمدة نصف ساعة، فإنه يجب أن يكون صادقا أنه جرى خلال كل أطوار هذه النصف الساعة. غير

5. من أجل صياغة واضحة لهذا المعيار، انظر مقال س. برومبرجر (S. Bromberger, 'An Approach to Explanation' in R. J. Butler (ed.), *Analytical Philosophy*, second series, pp. 72-105). ويصحح برومبرجر خطأ ارتكبتُه لـمّا قدمت هذا المعيار في المقال الأصلي (ص ص. 74-75).

أنه، إذا كان صادقا أن من جرى جرى ميلا في أربع دقائق، فإنه لا يمكن أن يكون صادقا أن يكون جرى ميلا في أي طور من الأطوار الفعلية لهذا الزمن، رغم أنه يبقى صادقا أنه كان يجري، أو أنه كان منخرطا في جري ميل، خلال كل الفواصل الفرعية التي تتكون منها تلك الدقائق الأربع. وبصورة مماثلة، إذا كنتُ كتبتُ رسالة في ساعة، فإنني لن أكون كتبتها، مثلا، في الربع ساعة الأول من هذه الساعة. يتضح، إذن، أن الجري وما ماثله، يحصل في الزمن بطريقة منسجمة، ذلك أن كل جزء منه هو من نفس طبيعة الكل. وهذا الأمر لا يسري على جري الميل أو على كتابة رسالة، فهذان الحدثان وإن كانا يستغرقان زمنا بدورهما، فإنهما يسيران نحو نهاية ضرورية منطقيا تعكس ما يفيدانه. وبكيفية ما، فإن هذه الذروة ترخي بظلالها خلفيا، فتضفي لونا جديدا على كل ما وقع من قبل.

بهذا نكون قد توصلنا إلى الخطاطة الزمنية لنوعين هامين من الأفعال. لنسم النوع الأول، الجري ودفع العربة وغيرهما، «ألفاظ نشاط»؛ ولنسم النوع الثاني، نوع «جريُ ميل» و«رسمُ دائرة»، «ألفاظ إنجاز».[6] ويوضح وصفُ هذين النوعين الأولين ما أعنيه بالتعبير عن «الخطاطة الزمنية» للأفعال.

عندما ننتقل إلى الطبقة الأخرى؛ أي الأفعال التي تفتقر إلى أزمنة مستمرة، نقف على شيء تتفرد به بدورها. كما قلنا سابقا، إن أفعالا من قبيل (2)، لا تدل على سيرورة في الزمن، وبذلك قد تُحمَل على فاعل لوقت معين صدقا كذبا. وبعض هذه الأفعال يمكن أن يحمَل فقط للحظات مفردة من الزمن (تحديدا)، في حين أن بعضا آخر منها قد يُحمَل على مراحل من الزمن أقصر أو أطول. فالمرء يبلغ قمة التل، أو يربح السباق، أو يستكشف شيئا أو يتعرفه، أو غير ذلك، في لحظة محددة. ومن جانب آخر، يمكن للمرء أن يعرف شيئا أو يعتقده، أو يحب أحدا أو يسيطر عليه، لوقت طويل أو قصير. والصورة التي تأتي بها الأسئلة والأجوبة المتلائمة تقدم الدليل القاطع على ذلك:

At what time did you reach the top? At noon sharp (12)

«في أي وقت بلغت القمة؟ في الزوال بالضبط»

At what time did you spot the plane? At 10:53 A.M. (13)

«في أي وقت لمحت الطائرة؟ في 10 و35 دقيقة نهارا»

For how long did you love her? For three years (14)

«كم من الوقت أحببتها؟ لثلاث سنوات»

How long did you believe in the stork? Till I was seven (15)

«كم من الوقت آمنت بهذا الأمر؟ إلى أن بلغت السابعة من عمري»

ولا يمكن أن يصح العكس.[7]

وقبل أن نتعمق أكثر، نقترح تسمية الأسرة الأولى (أسرة «بلوغ القمة») «ألفاظ إتمام»، وتسمية الأسرة الثانية (أسرة «الحب») «ألفاظ حالة». وبهذا يمكن أن نقول إن الإتمامات تحصل في لحظة مفردة، في حين أن الحالات تستغرق كمية من الزمن.

6. في غياب مصطلحات «خالصة»، أنا مضطر إلى الاقتصار على هذه التسميات (وعلى التسميتين اللتين سأقدمهما لاحقا)، التي تحمل دلالات خارج بنية الزمن (كمعنى النجاح، مثلا). وإذا كانت وجهة نظرنا تقتصر على الخطاطات الزمنية، فيجب ألا نصاب بالدهشة إذا غدت «getting exhausted» (منهَك) إنجازا، و«dying» (يموت) إتماما بمعنانا.

7. حتى في جملة «I knew it only for a moment» (عرفته للحظة فقط) يشير استعمال «for» إلى أنه ينبغي أن نفهم أن هناك مرحلة زمنية، وإن كانت قصيرة جدا.

3. تدعم خلاصتَنا عن الإتمامات سمة «غريبة» أشار إليها جلبرت رايلي G. Ryle (عن أرسطو)، هي أنه «يمكنني أن أقول «I have seen it» (رأيته) ما دام بإمكاني أن أقول «I see it» (أراه)».[8] في الواقع، يمكن توسيع هذه المسألة: عندما نكون بصدد إتمامات خالصة، يرد الزمن الحاضر بصورة حصرية تقريبا معبرا عن حاضر تاريخي أو عن مستقبل موال للحاضر:

Now he finds the treasure (or wins the race...) (16)

«الآن يعثر على الكنز (أو يربح السباق...)»

فهذه الجملة لا تعبر عن عثور أو عن ربح فعليين؛ في حين أن هذا ما يبدو ـ للمفارقة ـ أن الجملتين التاليتين تعبران عنه:

Now he has found it (17)

«الآن عثر عليه»

At this moment he has won the race (18)

«في هذه اللحظة ربح السباق»

إن كوننا نقول جملا من قبيل:

It took him three hours to reach the summit (19)

«تطلب منه بلوغ القمة ثلاث ساعات»

He founds it in five minutes (20)

«عثر عليه في خمس دقائق»

قد يجعل المبتدئ يخلط الإتمامات (التي تنتمي إلى الطبقة الثانية) بالإنجازات (التي تنتمي إلى الطبقة الاولى). ويكفي بعض التفكير والتأمل لتبيان الخطأ. عندما أقول إنني استغرقت ساعة في كتابة رسالة (وهذا إنجاز)، فإن ذلك يقتضي أن كتابة الرسالة وقعت خلال هذه الساعة. وليس هذا حال الإتمامات. فحتى لو قال أحد إن بلوغ القمة أخذ منه ثلاث ساعات، فليس معنى هذا أن «بلوغ» القمة حصل خلال هذه الساعات الثلاث.[9] والواضح أن ما استغرق الساعات الثلاث هو التسلق من أجل بلوغ القمة. ولنبسط الأمر بطريقة أخرى: إذا كتبت رسالة في ساعة، فإنه بإمكاني أن أقول:

I am writing a letter (21)

«إنني أكتب رسالة»

في أي لحظة خلال هذه الساعة؛ غير أنه إذا أخذ مني بلوغ القمة ثلاث ساعات، فإنني لا أستطيع أن أقول في أي لحظة من هذه المدة:

I am reaching the top (22)

---

8. انظر: *Dilemmas*, p. 102. ويستشهد بأرسطو (Aristotle's *Met.* 1048b). وكما سنرى لاحقا، يعد هذا المثال الخاص خادعا بعض الشيء.

9. من يهوون الأشياء الغريبة والشاذة مثل «تطلب عبور الحدود عشرين دقيقة من الكتيبة»؛ «إنهم يعبرون الحدود». أشير إلى أنني سأتجاهل في هذه المرحلة الأشياء التي تقع على التخوم.

«إنني أبلغ القمة»

أما بالنسبة للحالات، فإن افتقارها لزمن مستمر كاف لتمييزها عن الأنشطة والإنجازات؛ كما أن صورة التحديد الزمني تجعلها لا تلتبس بالإتمامات.

بالإضافة إلى هذا، أعتقد أنه سيكون من المفيد أن نشير، ونحن نتحدث عن الحالات، إلى سمة تبدو غير متوقعة؛ وهي سمة لا ترتبط بصورة صارمة باعتبارات يفرضها الزمن.

عندما أقول إنني قد أجري إن لم تكن ساقاي تشكوان من العياء، فإنني لا أعني أنني سأجري إن لم تكن ساقاي تشكوان من العياء. ومن جانب آخر، نرى أن هناك معنى للإمكان «can» هنا، حيث تعني الجملة التالية:

He could know the answer if he had read Kant (23)

«كان بإمكانه أن يعرف الجواب لو كان قرأ كانط»

أنه في هذه الحالة كان سيعرف الجواب. وشبيه بهذا، بمعنى واضح، أن نقول إنه كان بإمكاني أن أحبها لو لم تكن أنانية، هو نفسه أن نقول (كنت) سأحبها لو لم تكن أنانية. إننا نحس بشيء غريب في:

Even if I could like her I would not like her (24)

«حتى وإن كان بإمكاني أن أحبها فإنني لم أكن لأحبها»

يظهر، إذن، أنه في عبارات الشرط تقبل «could» أن تحل محل «would» فيما يتعلق بالحالات. ولنفس السبب، قد تصير «can» حشوية في الجمل المجردة من الوجه البياني من هذا النوع. ومن هنا الإحساس بالتصنع بخصوص تعابير من قبيل «I can know» (يمكنني أن أعرف) أو «can believe» (يمكنني أن أصدقه) أو «I can like» (يمكنني أن أحب). ويفسر هذا كذلك لما تُستعمل الجملة «I can believe it» في كثير من الأحيان عوض الجملة «I believe it». وحتى نستبق بعض الأمور، فالسؤال «Do you see the rabbit?» (ترى الأرنب؟) قد يجاب عنه بالتوازي بواسطة «Yes, I can see it» (نعم، يمكنني أن أراه)، أو بواسطة: «Yes, I see it» (نعم، أراه). وسأعود إلى هذه الأمر ثانية، فيما بعد، مقدما مثالا ملموسا، سأحاول تخصيصه أكثر. ويكفي الآن أن أشير إلى أنه إذا كانت استطاعة الجري ليست البتة هي الجري، وكانت استطاعة كتابة رسالة غير كتابتها، فإنه يبدو أن استطاعة المعرفة، بمعنى معين، هي المعرفة، واستطاعة الحب هي الحب، واستطاعة الرؤية هي الرؤية.

يمكن أن نشير أيضا إلى أن بعض الإتمامات لها أيضا هذه السمة. في الحقيقة، أن يكون باستطاعتك أن تتعرف هو، بمعنى معين، أن تتعرف. ومن جانب آخر، ليست استطاعة بدء الجري أو الكف عنه، بأي حال من الأحوال، هي بدء الجري أو الكف عنه؛ وإن كان بدء الجري أو الكف عنه يشكلان بوضوح إتمامين وفقا لخطاطتهما الزمنية. وعليه، فإن الاعتبار القائم على عنصر الزمن ليس كافيا؛ وعلينا البحث عن معيار آخر. إذا اعتبرنا أن المرء باستطاعته أن يبدأ الجري أو يكف عنه بقصد وتعمد، أو باهتمام وعناية، وأن المرء يعتبر مسؤولا عن كونه بدأ الجري أو كف عنه، وليس عن كونه عرف شيئا أو تعرفه، فإننا نتوصل إلى أن السلوك الغريب المشار إليه أعلاه بالنظر إلى «can» هو سلوك خاص بالأفعال الدالة على الإتمامات التي لا يمكن النظر إليها بوصفها أنشطة قصدية (أو لاقصدية).

هذا الأمر يعود بنا إلى الحالات؛ ذلك أن المرء، حقا، لا يستطيع أن يعرف أو يعتقد أو يحب

بقصد وتعمد، أو باهتمام وعناية، ولا أحد منا يستطيع أن يتحمل مسؤولية أنه «فعل» ذلك.[10] ويمكن أن نخلص من هذا إلى القول إن الحالات وبعض الإتمامات لا يمكن اعتبارها أنشطة البتة.[11]

لمزيد من التوضيح، أضيف أربعة أمثلة تؤكد خطاطاتنا الزمنية من منظور آخر.

بالنسبة للأنشطة: «كان أ يجري في زمن ز» تعني أن اللحظة الزمنية ز تقع على الفاصل الزمني الذي كان أ يجري فيه.

بالنسبة للإنجازات: «كان أ يرسم دائرة في زمن ز» تعني أن ز تقع على الفاصل الزمني الذي رسم فيه أ تلك الدائرة.

بالنسبة للإتمامات: «ربح أ سباقا بين ز1 وز2» تعني أن اللحظة الزمنية التي ربح فيها أ السباق تقع بين ز1 و ز2.

بالنسبة للحالات: «أحبت أ أحدا من ز1 إلى ز2» تعني أن أ أحبت هذا الشخص في كل لحظة بين ز1 وز2.

يبين هذا أن مفهوم الأنشطة يتطلب أطوارا من الزمن ليست فريدة أو محددة. أما الإنجازات فتستلزم مفهوم الأطوار الزمنية الفريدة والمحددة. وبصورة مشابهة، فالإتمامات تتطلب لحظات زمنية فريدة ومحددة، في حين أن الحالات تتطلب لحظات زمنية غير محددة وغير فريدة.

يوحي هذا التصنيف بنوع من الكمال. ولربما دعانا إلى التفكير بأن كل الأفعال يمكن تحليلها اعتمادا على هذه الخطاطات الاربع.

4. بعد أن وضعنا عدتنا التصورية وصقلناها، سنحاول في الفقرات الموالية أن نبين كيف يمكن استخدامها تطبيقيا. هنا، بالطبع، سيكون من الحمق أن ندعي الكمال: كل ما أستطيع فعله هو تقديم بعض الملاحظات بصدد بعض الأفعال أو بعض المجموعات من الأفعال، راجيا أن يتمكن القارئ، إذا رأى أن هذه الملاحظات جديرة بالاهتمام، من تناول أفعال أخرى تدخل في اهتمامه.

هناك عدد كبير من الأفعال التي تدخل بصورة تامة، أو على الأقل في استعمالها المهيمن، في صنف من هذه الأصناف.[12] ويُظهر لنا بعضُ التأمل أن الجري والمشي والسباحة ودفع شيء أو جره، وما كان من هذا القبيل، تشكل في الغالب أمثلة غير ملتبسة من الأنشطة. ورسم لوحة، وصنع كرسي، وبناء منزل، وكتابة رواية أو قراءتها، وإلقاء قَسَم، وإعطاء درس أو تلقيه، وغيرها، وكذا الشفاء من المرض، وما كان من هذا القبيل، هي كلها إنجازات واضحة. أما تحقيق شيء ما أو تعرفه، وفقدان شيء أو العثور عليه، وبلوغ القمة، وربح السباق، وعبور حد ما، والابتداء، والكف، وتلخيص شيء أو إيجازه، والولادة، وكذا الموت، كلها تدخل بوضوح في مجموعة الإتمامات. والامتلاك والرغبة، أو إرادة شيء ما، والحب، والنفور، والكره، والحكم أو السيطرة على أحد أو على شيء ما، وبالطبع، معرفة الأشياء أو اعتقادها، هي كلها حالات جلية.

وارتباطا بهذه المجموعة الأخيرة، تبْرُز فكرة بديهية. فمن منظور الخطاطة الزمنية، أن تكون

---

10. إنها لا «تُفعل» ولا «تُنجَز» بالمرة.

11. استعملت، في ملاحظاتي حول «can»، وفي اعتباري القصد والعناية رائزين ومعيارين للأعمال الحقيقية الأصلية، بعض ما أتذكره من أفكار (غير موثوقة تماما) من محاضرات أوستين J. L. Austin التي ألقاها في هارفارد سنة 1955.

12. لدواعي البساطة الأسلوبية، سأكون، فيما سيلي، غيردقيق بعض الشيء إزاء «استعمال في مقابل ذكر» الأفعال.

متزوجا أو حاضرا أو غائبا، بصحة جيدة أو مريضا، وما كان من هذا القبيل، هي كلها أحداث تسلك سلوك الحالات. وهكذا يمكننا أن نخطو خطوة إلى الأمام لنكتشف أن هذا الأمر صادق بالنسبة لكل الخاصيات والسجايا. فأن يكون الشيء صعبا، أو ساخنا، أو أصفر لبعض الوقت، أو أن يصير أصفر، مثلا، لا يعني أن سيرورة الاصفرار تسري أو تخوض في التحقق. وبصورة مشابهة، فإن حدث «الصعوبة»، وإن كان عبارة عن سيرورة (نشاط أو إنجاز)، يدل على الحالة. ولربما فهمنا الآن لماذا اعتُبرت الرغبة والمعرفة والحب، وما كان مثلها —أي ما يسمى بالعمليات الباطنية في الفلسفة التقليدية– خاصيات أو صفات.

العادات (بالمعنى الأوسع، بما في ذلك الانشغالات والاستعدادات والقدرات، وما كان مثلها) هي أيضا حالات بالمعنى الذي نتبناه. قارنْ بين السؤالين التاليين:

Are you smoking? (25)

«هل أنت خائض في التدخين؟»

Do you smoke? (26)

«هل تدخن (عادة)؟»

السؤال الأول نستفهم بواسطته عن نشاط، أما الثاني فنستفهم به عن حالة. ويفسر لنا هذا الفرق لماذا بإمكان لاعب شطرنج أن يقول في كل الأزمنة إنه يلعب الشطرنج، ولماذا بإمكان عامل شركة الكهرباء العامة أن يقول، وهو يستجم على الشاطئ، إنه يشتغل في الكهرباء العامة.

ليست الأنشطة وحدها بإمكانها أن تكون عادات بهذا المعنى. إن الكتّاب أناس يكتبون كتبا أو مقالات، وكتابة كتاب عبارة عن نشاط، وقابضو الكلاب أناس يلقون القبض على الكلاب، والقبض على كلب عبارة عن إتمام.

أما الأمر الغريب فيكمن في أنه إذا كان سائقو سيارة الأجرة —وهم الناس الذين نقول عنهم دائما إنهم يقودون سيارة أجرة — لا يسوقون فعليا سيارة الأجرة إلا في أوقات معينة، فإن الحكام — أي الناس الذين نقول عنهم دائما إنهم يحكمون بلدا ما — لا يقومون فعليا بحكم البلاد؛ أي أنهم لا يكونون منخرطين البتة في نشاط مخصوص هو حكم البلاد، مقارَنة بالنشاط المخصوص الذي يتمثل في سياقة سيارة أجرة. إن سائق سيارة أجرة قد يقول إنه كان يسوق سيارة أجرة خلال الصباح كله، ولكن ملك كمبوديا يصعب عليه أن يقول إنه كان يحكم كمبوديا خلال الصباح كله. والتفسير الواضح لهذا الأمر أنه إذا كانت سياقة سيارة الأجرة عبارة عن شيء متماثل تماما، كما هو شأن التدخين أو الرسم أو الكتابة، فإن الأنشطة التي يُفتَرض أن ينجزها حاكم ما عبارة عن أنشطة منوعة (مكونة من عناصر متنوعة)، ومتباينة نسبيا من حيث طبيعتها.[13] فهل الحاكم «يحكم» عندما يترأس اجتماعا أو يراقب الجنود فحسب، أم يكون «يحكم» أيضا عندما يكون يأكل خلال عشاء دولة؟ نحس أن بعض أنشطته تلائم أكثر من غيرها وضعه كحاكم، ولكننا نحس أيضا ألا أحد منها بالخصوص يمكن نعته بأنه هو نشاط «الحكم». بالطبع، الرسام [أو الفنان التشكيلي] ينجز بدوره أنشطة متنوعة قد ترتبط بعمله بصورة أو بأخرى (مثل التفرج على الغروب، أو بيع اللوحات)، غير أن هناك نشاطا

13. كما أشار إلى ذلك رايل: *The concept of Mind*, pp. 44, 118.

واحدا، وهو الرسم الفعلي، هو نشاط الرسام.

وتبعا للمصطلحات التي استعملها رايل،[14] سأسمي حالات المدخنين أو الرسامين وما كان مثلهما، حالات مخصوصة، وسأسمي حالات الحكام والنادلين والمربين (والبقالين، الذين لا «يبقلون» فحسب، بل إنهم لا «يبقلون» أيضا: الفعل «بقل» لا يحصل ليوجد) حالات عامة.

يبدو أن هذه هي الأمور الضرورية التي يمكن أن نراها في الحالات، هذا الصنف المحير الذي تتحول فيه الأعمال والأنشطة إلى صفات وعلاقات.

5. لقد رأينا أن الفرق بين معنى النشاط ومعنى الحالة، بالنسبة للتدخين أو الرسم وما كان مثلهما، ليس مقصورا على تصورَيْ التدخين والرسم وحدهما. فالعديد من الأنشطة (وبعض الإنجازات والإتمامات) لها معنى حالة «مشتق». غير أن هناك مجموعة من الأفعال لها تميز تصوري. وإذا نظرنا إلى العديد من هذه الأفعال، يصعب الحديث عن الصنف الذي تنتمي إليه «أصليا». مجموعة الأفعال التي أفكر فيها تتضمن عينات فكرية مشهورة مثل «يفكر» و«يعرف» من جهة، و«يرى» و«يسمع» وأسرتهما، من جهة أخرى[15]. في السنوات الأخيرة، نجحت العديد من المنشورات الممتازة في تنبيهنا إلى أن المشاكل والقضايا الإبستمولوجية المزعومة التي تحيط بهذه الأسرة من الأحداث تبدو أقل جاذبية عندما نعي بالأخطاء التي ترتكب في هذا الصنف، والتي نجدها متضمنة في صياغتها ذاتها؛ ذلك أنه يصعب الالتفات إلى المشكل طالما أننا نرفض التحدث عن إنجليزية تتضمن أخطاء.

قد أجازف بالقول إن هذه المقولات والأصناف، التي وضعناها اعتمادا على الخطاطات الزمنية، لا تنصف هذه الاكتشافات الحديثة فحسب، بل أكثر من هذا، إنه بالإمكان استخدامها لعرض وإقصاء بعض الأخطاء والإفراطات في التبسيط التي قد تضعف هذا المنهج برمته. ولنبدأ بحدث «التفكير». واضح أن لهذا الحدث استعمالين أساسيين: إن «think» (فكر) في الجملة الأولى مختلف عنه في الجملة الثانية:

He is thinking about Jones (27)

«يفكر في جونز»

He thinks that Jones is a rascal (28)

«يظن أن جونز نذل»

يدل [«think»] في الجملة الأولى على سيرورة، وفي الجملة الثانية على حالة. الجملة الأولى قد تُستعمَل لوصف ما يفعله شخص ما، أما الجملة الثانية فلا. ويتضح هذا الأمر أكثر عندما نقارن بين الجملتين أعلاه من ناحية أخرى؛ فالجملة الثانية قد نقولها عن شخص ينام نوما عميقا، أما الجملة الأولى فلا يمكنها التعبير عن ذلك. وهذا يبين أن «التفكير في» شيء ما عبارة عن سيرورة تحدث في الزمن؛ أي عبارة عن نشاط قد يسلكه المرء بقصد أو بعناية أو غيرها، ولكن «thinking that» (الظن أن) ليس، بأي حال من الأحوال، كذلك. إذا كان صادقا أنه كان يفكر في جونز لمدة نصف ساعة، فإنه يجب أن يكون صادقا أنه كان يفكر في جونز خلال كل أجزاء هذه المدة الزمنية. غير أنه، وإن كان صادقا أنه «ظن» أن

14. نفسه، ص 118.

15. بالرغم من أن حدث المعرفة يبقى حالة غطية، فإننا سنرى أن هذه النقطة تستحق نظرة أخرى.

جونز نذلا لمدة سنة، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه كان يفكر في جونز، النذل، في كل دقيقة من هذه المدة الزمنية.

يبين المثال الأخير أن (28) ليست مرتبطة بـ (27) بالطريقة التي يرتبط بها حدث التدخين، في استعماله الدال على العادة، بالتدخين في استعماله الدال على النشاط. إن (28) يماثل حدث الحكم، على الأصح؛ أي أنه مبني على أعمال من أنواع مختلفة. لننظر، مثلا ، إلى سلوك الفلاح «الذي يظن أن» المطر سيهطل. قد نقول، في هذه الحالة، إنه هنا عبارة عن حالة عامة. ومن جانب آخر، فحالة «المفكر» (الذي يفعل التفكير) حالة مخصوصة: إنه رجل كثيرا ما ينخرط في التفكير في أمور كبرى[16].

من السهل أن نرى أن «believing that» (يعتقد أن) هو أيضا حالة عامة. في الواقع، يمكن أن نعوض «he believes that» بواسطة «he thinks that» في جل السياقات. و«believing in» (يؤمن بشيء ما)، وإن كان مختلفا في معناه، فهو ينتمي إلى نفس الصنف؛ فالمرء يمكنه أن «يعتقد في» (أي «يؤمن بـ») القضية العادلة وإن كان نائما.

يدل حدث المعرفة على الحالة بوضوح في استعمالاته المهيمنة. وعلاوة على هذا، فإن جملة «I am knowing» (أنا بصدد المعرفة) لا وجود لها في الإنجليزية، ولذلك فإن حدث المعرفة يدل على حالة عامة. مثلا، معرفتي أن هارفارد توجد بكمبريدج ما هي إلا جزء من عدد هائل من أنشطتي التي ترتب وتنظم، من توجيه الرسائل إلى ركوب الحافلات. والحال أنه لا يمكن أن ننعت أحد هذه الأنشطة بالخصوص بأنه هو الذي يمثل حدث المعرفة. وقد ينتابنا بعض الشك، رغم ذلك، بصدد استعمالات من قبيل «And then suddenly I knew» (وهكذا عرفت فجأة)، ومن قبيل « Now I know it» (الآن أعرفه)، التي تبدو وكأنها من الإتمامات. وفي الحقيقة، فهذا المعنى المتبصر للمعرفة يتوافق بشكل أو بآخر مع هذا الصنف. غير أنه سيكون من الخطأ أن نعتقد أن هذا النوع من «المعرفة» مثلما يرتبط «القبض على الكلاب» بالحالة المخصوصة للقابضين على الكلاب. ويتبين لنا، إذا دققنا أكثر، أنهما مترابطان، على الأصح، مثلما يرتبط «getting married» (أن تتزوج)، وهو إتمام بـ «being married» (أن تكون متزوجا)، وهو حالة عامة. وأحسن طريقة لتبيان ذلك، نورد المثال التالي. هب أن أحدا يحاول أن يجد حلا لمسألة في الرياضيات. فجأة يصرخ: «الآن عرفته». بعد عشر دقائق، يفسر لي حل هذه المسألة. الواضح أنه ما زال يعرفه، مما يعني أنه ليس في حاجة إلى أي برهة أو التماعة من الفهم لكي يفسر الحل. وفي الحقيقة، فطالما أنه يعرفه (بمعنى الحالة)، فإنه منطقيا يستحيل أن يعرفه (بمعنى الإتمام). إن «Now I know it» تفيد أنه لم يعرفه من قبل.

قد ننساق إلى القول إن «knowing» (المعرفة) تعني الابتداء في المعرفة. وهذا إغواء خطير؛ ذلك أنه يجعلنا نفكر في أنه بمجرد الابتداء في الجري يبدأ نشاط الجري، وبمجرد الابتداء في المعرفة يبدأ نشاط المعرفة. وبالطبع، لأن الابتداء (أو الكف) عن المعرفة لا معنى له، فهذا معناه أن «knowing» ليس بداية لنشاط ما، بل بداية لحالة. وعموما، من الأهمية بمكان تمييز الإتمامات التي تبدأ أنشطة عن الإتمامات التي تستهل بها الحالة.

تنسحب نفس التمييزات على حالة الفهم. ولربما كان معناه الإتمامي، رغم ذلك، مألوفا أكثر

16. لدي شك بصدد «Thinking of something» (التفكير في شيء ما). فاستعمالها ليس مطردا بما فيه الكفاية. ويبدو لي، رغم ذلك، أن لها في الكثير من الأحيان معنى الإتمام: Every time I see that picture I think of you (كلما رأيت تلك الصورة، أفكر فيك).

من معنى «knowing»؛ وقد أشرنا قبل قليل إلى «التماعات» الفهم. غير أن التماعات الفهم هاته هي أيضا إتمامات تستهل بها حالة الفهم الدالة على العموم.

6. علينا أن نحتفظ في ذهننا بكل هذه التفاصيل عندما نشرع في مهمتنا الشاقة، وهي تحليل تصور «seeing» (الرؤية) من منظور البنية الزمنية. يذهب رايل، في كتابيه «مفهوم الذهن»[17] و«متاهات»،[18] بصورة جد متماسكة، إلى أن الرؤية ليست سيرورة ولا حالة، وإنما هي نوع من الإتمام أو النجاح، ذلك أنه يشبه في العديد من الجوانب حدث ربح السباق أو العثور على شيء ما. وقد أشار ف. ن. سيبلي F. N. Sibley، حديثا، إلى أن الرؤية تعمل، في عدد من استعمالاتها الدالة، بصورة تختلف بعض الشيء عن الإتمامات، من منظور البنية الزمنية تحديدا[19]. ويستنتج أنه، بما أن الرؤية ليست –على الأقل ليس دائما– إتماما، فإنها قد تنقلب إلى نشاط قبل أي شيء آخر.

لا جدال في أن الرؤية يمكن أن تكون إتماما بمعنانا. فاستعمالات من قبيل «At that time I saw him» (في ذلك الوقت رأيته)، إضافة إلى إمكان أن نقول «I have seen it» (رأيته)، كما أشرنا آنفا، ما دمنا نستطيع أن نقول «I see it» (أراه)، تبين هذا الأمر بشكل جيد. سأحيل على معنى الرؤية هذا، الدال على «المراقبة» (والذي يماثل بوجه معين معنى التماعة المعرفة أو الفهم)، بوصفه «رؤية».

ليس هذا هو المعنى الوحيد للرؤية؛ يقترح علينا المثال التالي إمكانا آخر:

How long did you see the killer? (29)

Oh, I am quite tall, I saw him all the time

he was in the courtroom. I was watching him.

«كم من الوقت رأيت القاتل؟ قامتي طويلة بما يكفي، رأيته

كل الوقت الذي كان فيه في قاعة المحكمة. كنت أنظر إليه»

والمثال التالي يسير في نفس الاتجاه:

Do you still see the plane? (30)

«هل ما زالت ترى الطائرة؟»

وإضافة إلى ذلك، لا يمكن للجملتين التاليتين:

I spotted him crossing the street (31)

«لمحته يعبرُ الشارع»

I spotted him running (32)

«لمحته يجري»

أن تفهما إلا بمعنى:

I spotted him while he (or I) was crossing the street (33)

---

17. الفصل الخامس.

18. الفصل السابع. والعنوانان الأصليان للكتابين هما: *The concept of mind* و*Dilemmas*.

19. انظر: Seeking, Scrutinizing and Seeing, Mind, LXIV (1955), 455-478. وفي ص 472 يتحدث عن أشياء من قبيل «One must throughout that length of time be seeing it» (ينبغي من خلال هذه المساحة الزمنية أن نكون نراه).

«لمحته عندما كان يعبر الشارع (أو عندما كنت أعبره)»

I spotted him while he (or I) was running (34)

«لمحته عندما كان يجري (أو كنت أجري)»

ومن جهة أخرى، قد تعني الجملتان التاليتان:

I saw him crossing the street (35)

«رأيته يعبر الشارع»

I saw him running (36)

«رأيته يجري»

ما تعنيه:

I saw him cross the street (37)

«رأيته عبرَ الشارع»

I saw him run (38)

«رأيته جرى»

ويرفض الفعل «spot» (لمح) هذا النقل:

*I spotted him cross the street (39)

«لمحته عبرَ الشارع»

*I spotted him run (40)

«لمحته جرى»

تفسر خطاطتنا الزمنية هذا الفرق. إن «spotting» (لمح) إتمام يفيد لحظة زمنية فريدة وغير قابلة للتجزيء. أما الجري أو عبور الشارع فسيرورتان تتمان في الزمن (والأخير يأخذ وقتا بدوره)؛ وبهذه الصفة لا يمكنهما أن يقسما إلى لحظات زمنية غير قابلة للتجزيء: فمفهومهما الفعلي يشير إلى مدة/فترة زمنية. وهكذا نرى أن هناك صعوبة منطقية في لمح أحد جرى أو عبرَ الشارع. قد نلمح أحدا عندما يكون يجري أو في الشارع، ولكن «عندما» و«في» تحيلان هنا على الحالات، والحالات يمكن أن تجزأ إلى لحظات زمنية. وعليه، فمن الواضح أن حدث الرؤية في:

I saw him while he was running (or crossing the street) (41)

«رأيته عندما كان يجري (أو يعبر الشارع)»

قد يعني «الرؤية» فحسب، ولكن الرؤية في:

I saw him run (or cross the street) (42)

«رأيته جرى (أو عبر الشارع)»

يجب أن يكون لها معنى يقبل مرحلة من الزمن: سيرورة أو حالة.

غير أن الرؤية لا يمكن أن تكون سيرورة. فلا يمكن أن نجيب عن السؤال التالي:

What are you doing? (43)

«ماذا تفعل؟»

بإنجليزية جيدة بقولنا:

I am seeing (44)

«إنني أرى»

وعليه، فبالرغم من كوننا قد نرى شيئا لمدة طويلة، فهذا لا يعني أننا «نكون نرى» ذلك الشيء لمدة معينة، مع العلم أنه يظل صادقا أننا نرى ذلك الشيء في كل اللحظات خلال هذه المدة. أضف إلى هذا أن ظروفا من قبيل «قصدا» أو «بعناية» لا تصف الرؤية أو تخطئ وصفها، ولا أحد يمكن تحميله مسؤولية رؤية شيء ما، في حين أنه بالإمكان اتهام أحد أو تحميله مسؤولية النظر إليه أو مشاهدته. وعليه، فالرؤية ليست عملا «يتم القيام» به أو «يُنجَز». وأخيرا، فإن علاقة التكافؤ الغريب الحاصل بين: «I can see it» (بإمكاني أن أراه) و«I see it» (أراه)؛ أو حتى بين الجملتين التاليتين:

I saw him all the time (45)

«رأيته طول الوقت»

I could see him all the time (46)

«استطعت أن أراه طول الوقت»

يؤكد ما ذهبنا إليه من كون الرؤية ليست عبارة عن سيرورة، بل هي حالة أو إتمام. فالقدرة على الرؤية يصعب تصورها بوصفها سيرورة.

7. رغم كل هذا، تطرح هنا صعوبة جمة. فبعد إجراء عملية جراحية على العين، قد يقول الطبيب إنه بإمكان المريض الآن أن يرى دون أن ينتبه إلى أنه يرى عبر الضمادة، مثلما قد يقال عن مريض بعد عملية تجبيرية لرجله إنه بإمكانه أن يمشي دون أن يستلزم القولُ أنه يمشي فعلا. وعلاوة على هذا، قد يقدم اعتراض بأن الحالة الجسدية المتمثلة في القدرة على الرؤية (أو استطاعة الرؤية) ليست هي الرؤية. وبذلك فهما مترابطان بنفس الكيفية: حالة القدرة على المشي ضرورية لنشاط المشي، وحالة القدرة على الرؤية ضرورية لنشاط الرؤية. إضافة إلى هذا، وكما اقترحنا سابقا، بإمكاننا أن نقول عن رجل نائم نوما عميقا إنه يعرف الجغرافيا، أو إنه يعتقد أن جونز نذل، أو إنه يحب لوسي، غير أنه لا يمكن أن نقول عن شخص نائم أنه يرى شيئا ما بالمعنى العادي للرؤية. ورغم ذلك، قد يقول أحد ذلك لأنه يستطيع أن يرى، بمعنى أنه ليس أعمى. وعليه، فاستطاعة الرؤية (أو القدرة على الرؤية) عبارة عن حالة مثل المعرفة، ولكن الرؤية ليست كذلك.

يخلط هذا الاستنتاج بين معنيين للفعل «can» (يمكن). فهناك أناس يمكنهم أن يشربوا غالونا من الخمر دفعة واحدة. هب أن أحدا قد أنجز هذا الفعل المشهود منذ دقيقة. سيكون مستبعدا أن يستطيع القيام بذلك ثانية. فهل علينا أن نقول، إذن، في هذه اللحظة، يمكنه، أو بالأحرى، لا يمكنه أن يشرب غالونا من الخمر دفعة واحدة؟ إنه يستطيع ولا يستطيع. لنُشِرْ إلى «can» الأول (في «he can») بواسطة «can2»، ولنشر إلى الثاني (في «he cannot») بواسطة «can1». وبالطبع، فإن «he can2» تعني أنه يمكنه1 إذا كانت معدته فارغة. وحين تكون معدته فارغة، فإنه يمكنه1 ويمكنه2. وبذلك، فإن «can2» يستلزم «can1» ويقتضيه شرطيا: يمكنه1 إذا توافرت شروط معينة. يمكن1 لا يستلزم أي إمكان آخر: بامكانه فعلا. هذا، حتى وإن كانت «يمكنه1 شرب غالون من الخمر» لا تعني أنه يشرب فعلا هذا الشرب المذهل.

لنعد الآن إلى «can» التي قالها الطبيب:

Now he can see (47)

«الآن، يمكنه أن يرى»

ينطق الطبيب بهذه الجملة وعينا المريض ما زالتا تحت الضماد. إنها «can2»: لو نُزع الضماد وكانت العينان مفتوحتين (وظل كل شيء كما هو، بما في ذلك الضوء في الغرفة وغير ذلك)، فإنه يمكن1 أن يرى بعض الأشياء في الغرفة؛ أي أنه سيرى بعض الأشياء في الغرفة. وعليه، فإن التكافؤ المشار إليه آنفا يحصل بين «see» و«can1»؛ أي ذلك الإمكان الذي يقع في أدنى مستوى، وهو المستوى الذي لا يتطلب أي إمكان مشروط. هذا التكافؤ لا يحصل مع الأنشطة: المريض الآخر يمكنه2 المشي، وإن كانت ساقاه ما زالتا مربوطتين إلى السرير؛ إن حُرّر أمكنه المشي، حتى وإن لم يمش فعلا.[20]

غير أن غريمي قد يواصل انتقاداته:

«إنك تغفل بكل وضوح فرقا ساطعا. إن المشي عبارة عن عمل قصدي إرادي، في حين أن الرؤية عفوية وتلقائية. إن لم تكن أعمى، وكان هناك بعض الضوء، إذا فتحت عينيك فإنك لن تتمكن من منع نفسك عن رؤية شيء ما: يبدأ النشاط التلقائي للرؤية. الهضم عبارة عن سيرورة، كما تعرف؛ وبذلك فالتكافؤ الذي تتحدث عنه ينطبق هنا أيضا، ذلك أنه هو بدوره عبارة عن سيرورة تلقائية عفوية. عندما أقول يمكنني أن أهضم لحم الخنزير، فأنا أعني أنني لو كنت أكلت لحم الخنزير، لأمكنني أن أهضم لحمه، أي أنني سأكون أهضم لحم الخنزير. وإذا لم آكل لحم الخنزير، فلن أتمكن من هضمه. وعليه، هناك معنى تكون فيه العبارتان التاليتان:

Can digest pork (48)

«يمكنه هضم لحم الخنزير»

Is digesting pork (49)

«يهضم لحم الخنزير»

تعنيان الشيء ذاته.

هذا الاعتراض لاذع. يعد صادقا أن لا أحد يمكن أن يكون يجري إن لم يكن يجري ، مثلما لا يمكن لشيء أن يكون قطا إن لم يكن قطا. ولكن «can» هنا عبارة عن موجه منطقي مثل «must» (يجب) في:

All cats must be cats (50)

«كل القطط ينبغي أن تكون قططا»

بهذا المعنى، بالطبع، تكون «can be digesting» بنفس معنى «digesting». غير أن «can» موجه مادي. وسيكون من السذاجة أن نشير إلى دكان يبيع لحم الخنزير ونقول:

«الآن لا يمكنني هضمه، ولكن إن أكلته سيكون بإمكاني هضمه لوقت معين، ما دمت هضمتُه، وبعده لن يكون بمكاني هضمه ثانية».

غير أنه ليس من الحمق في شيء أن نقول:

«الآن لا يمكنني رؤية القمر، ولكن عندما تنجلي الغيوم، سيكون بإمكاني رؤيته».

20. يتضح الآن أن «He could1 know the answer if he had read Kant» (كان باستطاعته معرفة الجواب لو كان قرأ كانط)، مثلا، تعني أنه في هذه الحالة سيعرف الجواب، ولكن «He could2 know . . .» لا تعني أنه في هذه الحالة سيعرف الجواب.

8. بإمكاننا أن نستخلص بكل ثقة أن للرؤية معنى الحالة أيضا. وبما أنه لا وجود لسيرورة للرؤية، بل هناك «رؤية» إتمامية (معنى «لمح»)، يبرز سؤال ارتباط «الرؤية» بالرؤية مثلما يرتبط حدث القبض على الكلاب بحالة قابضي الكلاب، أو مثلما يرتبط حدث «المعرفة» (الإتمام) بالمعرفة (الحالة). واضح أن هذا الأخير هو الوارد:

At that moment I saw him (spotted him) (51)

«في تلك اللحظة رأيته (لمحته)»

تعني هذه الجملة أنني لم أره قبل تلك اللحظة. وبذلك، فإن «الرؤية» عبارة عن إتمام يستهل الحالة الدالة على العموم.

نتذكر أن هناك مستويات من الأنشطة والإنجازات والإتمامات يتطلبها مفهوم الحُكم أو مفهوم المعرفة. وبذلك يظل المشكل قائما: ما هي الأنشطة والإنجازات والإتمامات التي ترتبط بهذه الكيفية بمفهوم الرؤية؟ إذا لم أكن أعرف أن هارفارد توجد في كمبريدج، لن أتمكن من إنجاز العديد من الأنشطة بالطريقة التي أنجزها بها. وبصورة مماثلة، إذا كنت لا أرى يدي، فإنني لا أستطيع (ولا يمكنني) أن ألاحظها، أو أشاهدها، أو أفحصها، أو أنعم فيها النظر؛ لا يمكنني أن أحدق فيها، أو التمعن فيها، أو تركيز عيني عليها، أو تتبعها بعيني؛ لا أستطيع أن أرى إن كانت متسخة، لا يمكنني أن ألاحظ ذلك، أو أن أكتشف بسهولة، أو أقول، أو أصف لونها، أو الشكل الذي تبدو عليه الآن؛ وكذلك لن أتمكن (بمعنى معين) من أن أنظر إليها وأراها باعتبارها أداة أو مثل حيوان بخمسة مجسات، أو غير ذلك.

بالطبع، لا يمكن لأي من هذه الأنشطة أن ينجز طول الوقت، أو أن ينجز أحدها بعد الآخر، عندما نرى شيئا ما. عندما أكون أكتب، أرى القلم طول الوقت، وإلا ما تمكنت من أن أكتب بالطريقة التي أكتب بها. ورغم هذا، فأنا لا أتفرج عليه أو أتفحصه أو أنعم النظر إليه؛ قد لا أنظر إليه البتة؛ قد لا ألحظ حتى لونه. وبنفس الكيفية، عندما أمشي ذهابا وإيابا في غرفتي، مستغرقا في التفكير، لا أعير انتباها للأثاث من حولي، فلا أراه في أغلب الوقت، وإلا تعثرت وصدمت الموائد والكراسي في كل مرة. لنفكر في الكيفية التي نرى بها أنوفنا أو إطار نظاراتنا.

وجب الانتباه إلى أن كل الأنشطة التي عددتها، لا يتصف واحد منها بتلك الغرابة التي نرى أن حدث الرؤية يتميز بها. إن أي معجم جيد باستطاعته أن يقول لنا ما نعنيه بـ«watching» (شاهد) و«scrutinizing» (أنعم النظر)، وما ماثلهما، حتى بدون الإشارة إلى «الرؤية».[21] ومن جهة أخرى، لا يمكن إعطاء معنى «للرؤية»، خال من الإلغاز، دون الوقوف على «حالته» بوصفه لفظا دالا على الحالة؛ أي بدون إعطاء هذا النوع من التفسير الذي حاولت إعطاءه. وبنفس الكيفية تقريبا، يظل معنى «knowing» مبهما وغير واضح ما دام يأخذ نوعا من التفسير من قبيل ذلك الذي نعثر عليه في كتاب رايل «مفهوم الذهن»، الذي يقول إن «خدمة البيوت» ستظل نشاطا مبهما ما دمنا لا نعرف نوع الأعمال (المبهمة على أي حال) التي يفترض أن خدام (البيوت) ينجزونها.

21. يعطي معجم *The Concise Oxford Dictionary, 4th ed*. التحديد التالي لـ «watching» (المعنى الوارد): ترك العينين مركزتين على شيء، حفظ الشيء تحت الملاحظة، متابعة الشيء بالملاحظة. ويعطي التحديد التالي لـ «scrutinizing»: النظر عن كثب إلى الشيء، فحص الشيء بدقة.

9. قبل أن نغادر حدث الرؤية، أشير إلى معنيين يقعان على التخوم. إذا قال لنا أحد إنه رأى كارمن Carmen الليلة الماضية، فإنه يعني أنه رأى الفصول الأربعة لمسرحية كارمن. وبالإضافة إلى هذا، قد يقول إن رؤية كارمن أخذت منه ثلاث ساعات. ولربما ذهبنا إلى الإجابة عن السؤال التالي: «ماذا تفعل الآن؟» بواسطة الجواب: «إنني أرى كارمن على شاشة التلفزة». وعليه، فإن هناك معنى إنجازيا غريبا لحدث الرؤية. وهناك استعمال متكلف آخر. إن «الرائي» يرى الأشياء، ولكنه بين الحين والآخر، يرى أشباحا أو فئرانا وردية. وهذا الاستعمال المتكلف أو المتوسع فيه لا ينبغي أن يفاجئنا. سنخطئ خطأ جسيما إذا حاولنا أن نفسر الاستعمالات المألوفة لحدث الرؤية على أساس هذا الاستعمال.

وبناء عليه، لا غرابة في الأمر بالنسبة لحدث «الرؤية»، وإن ظلت بعض المشاكل عالقة بصدد «observing» (ملاحظة) و«watching» (مشاهدة)، وما كان على شاكلتهما. وقد نلفت الانتباه، مثلا، أنه عندما تملك أنشطة- وهذا الأمر يصدق على «observing» أكثر من «watching»- معنى إنجازيا: يتطلب مرور فينوس عبر السماء، أو رجوع نملة إلى بيتها وهي تحمل نحلة ميتة، بعض الوقت. هناك توازيات واضحة بين تصورات الرؤية وتصورات المشاهدة والإنصات (listening)، وهلم جرا. وهكذا، يمكن أن نستمر في هذا النوع من البحث والاستقصاء، ولكن بدون مسائل خاصة قد تصير مملة وتافهة.

وختاما، أظن أنه ليس من المجازفة أن نقول إن المقولات التي وضعناها قد تساعدنا - إلى جانب إثباتها للفروق القائمة بين السيرورات واللاسيرورات - في توضيح الفروق والاختلافات المتغاضى عنها والمربكة داخل طبقة اللاسيرورات. ليس هناك من سبب يدعونا إلى التخوف من أن تنقلب الرؤية، مثلا، بما أنها ليست دائما إتماما، فتصير نشاطا، فتحيي بذلك كل أشباح نظرية المعرفة. «ماذا يحصل عندما ندرك، وما هو الشيء الذي يجعل ذلك يحصل؟ هذا هو مشكل الإدراك».[22] ينبه بَحّار على ظهر المركب، وهو ينظر أمامه: «كل شيء أسود، لا أرى شيئا». وبعد حين: «الآن أرى نجما». يُسأل: «ماذا حصل؟»، «انجلى السحاب». «ولكن، ماذا حصل أيضا؟»، «لا شيء آخر». بالطبع، حصلت أشياء عديدة في العالم وفي البحار. ولكن هذه الرؤية ليست منها.[23]

22. انظر: Boring, Langfeld, and Weld, *Foundations of Psychology*, p. 216.

23. أود أن أعبر عن تشكراتي للأستاذ إسرائيل شيفلر Israel Scheffler لما أدلى به من تعليقات مفيدة على الصيغة الأولى من هذا الفصل.